

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

(٣)

بعد أن انتهى الفرنسيون من احتلال مدينة الإسكندرية أمر نابليون بإبقاء « السيد محمد كريم » حاكما لها حتى يخلد الأهالي إلى الهدوء والسكينة، وينصرف الجميع إلى أعمالهم وكان نابليون يعلم تماما أن الأهالي وعلى رأسهم « السيد محمد كريم » لم يخضوا له إلا إذعانا للقوة المسلحة . . . وأنهم يتحينون الفرص للثورة على الحكم الجديد ، ولذلك عمل على التقرب إليهم لينال عطفهم ، ويكسب موثقتهم

وقد بين لهم أنه ما جاء إلى مصر . . . إلا ليحارب المالك الذين استبدوا بحكم البلاد وحرموا الفلاح المصري ثمره خيراته ، واعتدوا على التجارة وأساءوا إلى أهل البلاد بما ارتكبوا من مظالم وأخذ نابليون يذيع منشوراته على الأهالي ، ليثبت هذه المعاني في نفوسهم ، ويضمن ولاءهم للجمهورية الفرنسية ، كما طلب أعيان الثغر وألزمهم بجمع السلاح ، وإحضاره إليه حتى لا يفكر الأهالي في المقاومة المسلحة

وكان مما قاله للسيد محمد كريم

(١) « لقد أخذتكَ والسلاح في يدك ، وكان لي أن أعاملك معاملة الأسير ولكنك استبسلت في الدفاع ؛ لذلك أعيد إليك سلاحك وآمل أن تبدي للجمهورية الفرنسية من الإخلاص ما كنت تبديه لحكومة سيئة »

ولم يكن هذا القول من جانب نابليون إلا تقديرا منه لجهود « السيد محمد كريم » وعله بما يشعربه الشعب نحوه من محبة وإكبار وتقدير

وقبل أن يترك نابليون مدينة الإسكندرية ، عين الجنرال

(١) عبد الرحمن الراملي : ص ١٢٦

« كبير » حاكما لدائرة الإسكندرية وضواحيها « وأوصاه بأن يعمل كل ما في وسعه لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالي وإبداء كل أنواع الاحترام للعلماء ورؤساء الشايخ في المدينة »

* * *

بهذا نرى أن « السيد محمد كريم » بقى في منصبه بناء على رغبة نابليون، ولكن هذا الحاكم الوطني المحب لبلاده ، المخلص للسلطان العثماني خليفة المسلمين وظل الله في أرضه ، كان يشمر بالكراهة والمقت لهؤلاء الحكام الأوربيين

وقد زاد من نفوره منهم وحقده عليهم أنهم فرضوا على الأهالي غرامة قدرها ستة آلاف جنيه تقريبا في الوقت الذي حل فيه السكاد محل الرخاء . . . وانتشرت الفاقة والضيق بالأهالي بعد أن كانوا أوفر روة ، وأحسن حالا

وقد زاد من سوء الحالة أن الجنود الفرنسيين بدأوا يشكون من البلاد المصرية بعد أن ذاقوا ملذات المدن الإيطالية ؛ وبعد أن وجدوا أن الأمانى التي وعدهم بها نابليون لم تكن إلا مجرد وهم وخداع ، وظهرت روح التمرد بين الجنود ، فأخذوا يقتصبون ثمار الأشجار ويقطعون النخيل من جذوعه ، ويمتدون على الأهالي السالين . . .

ولقد ظلت روح التمرد والعصيان كامنة في نفوس الأهالي حتى أشعلها « السيد محمد كريم » وأوقد نارها من جديد

فاعتدى الأهالي على أحد جنود مدفعية الأسطول ، وألقوا جثته في الطريق ، كما ألقوا في البحر خادم أحد الضباط ثقات غرقا ، وقد ثارت ثائرة « كبير » وأراد أن ينتقم من الجناة . . . ولكنه لم يعثر لهم على أثر ، كما تأكد لديه أن الجندي الفرنسي قد تعرض للقتل نتيجة لاعتدائه على الأهالي

ولذلك أصدر منشورا إلى جنوده ، طالبا منهم أن يحافظوا على أنفسهم بحماية الأهالي والمحافظة عليهم ، ومهددا بالإعدام كل جندي يعتدى على حقوق المسلمين الدينية أو المدنية

ولم يقتصر السيد محمد كريم على إثارة روح الكراهية والثورة في نفوس الأهالي ، بل جعل يتصل بجميع المدن والقرى التي يمر بها رجال الحملة الفرنسية ليمدوا للأمر عدته ، وليقاوموا

وكانت منزلة من نفوس المصريين قد عظمت بسبب اعتقاله .. وانتشرت محبته في كل مكان .. فلم يكذب يعلم أهالي رشيد بمقدمه حتى سارعوا إلى ملاقاته بالحقاوة والتكريم .. مما اضطر الجنرال مينو إلى القبض عليه .. والإمراع بإرساله إلى مصر ... »
وما كاد السيد محمد كريم يصل إلى مصر .. حتى أصدر نابليون أوامره إلى الجنرال «ديوى» حاكم القاهرة : بالتحقيق معه .. كما طلب منه أن يحاول إثبات التهمة عليه بمختلف الوسائل ولم تكن هناك حاجة إلى التحقيق ، فسرعان ما انتهى

ببوت التهمة عليه .. وإعلان خيائته للجمهورية الفرنسية «^(٢) وأصدر نابليون أمرا بإعدامه رميا بالرصاص .. ومصادرة جميع أملاكه وأمواله .. وسمح له أن يقتدى نفسه بدفع ثلاثين ألف ريال في أربع وعشرين ساعة »

فرفض السيد محمد أن يدفع له هذا المبلغ .. ولم يكن ذلك منه عجزا .. أو حرصا على المال .. وإنما كان إيمانا بالله .. وإيمانا بأن الموت مصير كل إنسان .. ونهاية كل مخلوق

فليكن موته إخذل على أيدي أعدائه .. وأعداء بلاده .. حتى يكون ذلك وقودا جديدا للثورة .. وباعثا للمصريين على مواصلة الكفاح والنضال لتحرير بلادهم من أيدي أعداء الدين والوطن ولقد نصحه أحد تراجمة الحلة بأن يدفع الترامة .. وقال له : — «^(٣) إنك رجل غني .. فاذا يضربك أن تقتدى نفسك بهذا المبلغ ؟؟

فأجاب السيد محمد كريم :

— « إذا كان مقدرا على أن أموت ، فلا يعنى من الموت أن أدفع هذا المبلغ .. وإذا كان مقدرا على الحياة .. فعلام أدفعه ؟؟ » وظل على رأيه .. إلى أن نفذ فيه حكم الإعدام .. وبذلك أصبح « السيد محمد كريم » بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية ، في عهد الحلة الفرنسية

هذه خلاصة موجزة ، لسيرة ذلك البطل المصري ، الذي

(٢) عبد الرحمن الرافعي . الحركة اللاوية ١٠ ص : ١١٨

(٣) نفس المصدر ص : ١٥٠

(٤) عبد الرحمن الرافعي : ص ١٥٠ من : ربيع . التاريخ المالى والحربي للحلة الفرنسية ٣

نابليون وجنوده بكل ما استطاعوا من وسائل المقاومة وقد حدث أن إحدى الكتائب الفرنسية خرجت من الإسكندرية لتقوم بحملة تفتيشية في بعض الجهات المجاورة — فلما علم السيد محمد كريم بما يمتزمه الفرنسيون ، اتصل بالمدن والقرى القريبة ، وطلب منها أن تقاوم الكتيبة ، وتمنع الماء عن رجالها فلما غادر الفرنسيون الإسكندرية ، تابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى دمنهور ، وكانوا يجدون مقاومة شديدة من جانب الأهالي ، كما قتل منهم ما يقرب من ثلاثين جنديا ، ولذلك عادوا إلى الإسكندرية وهم في حالة سيئة ، وقد ثبت لديهم أن الأهالي لم يخضوا — بعد — للحكم الفرنسي ، وأن هناك اتصالا مستمرا بين الإسكندرية وغيرها من المدن والقرى

ولاعلم الجنرال « كليبر » بما لاقته الكتيبة من مقاومة ومشقة ، أراد أن يقضى على حركة المقاومة — ويقوم بعمل حاسم يستعيد به هيئة الجيش الفرنسي ، ويسترجع مكائته في نفوس الشعب ، فأمر بالقبض على « السيد محمد كريم » وبعث به إلى أبي قير ، ثمهدا لتوصيله إلى القاهرة ، حيث يقابل نابليون ، ويدفع عن نفسه التهم الموجهة إليه ، وفي نفس الوقت ، أرسل الجنرال كليبر كتابا إلى نابليون يعرض فيه أمر السيد محمد كريم ، ويطلب منه ألا يأمر بعودته إلى الاسكندرية حتى لا تعظم مكائته ويستفحل أمره — ويزداد نفوذه في نفوس الأهالي

وقد مكث « السيد محمد » في أبي قير أياما .. طلب بعدها من الأميرال « بردي » قائد الأسطول أن يأمر بتوصيله إلى القاهرة . فأرسله الأميرال بدوره إلى رشيد .. ليبيت به الجنرال مينو إلى القاهرة ...

ومما هو جدير بالذكر .. أن « السيد محمد كريم » على الرغم من أن دائرة حكمه لم تكن تمتد إلى الاسكندرية .. إلا أن شهرته قد انتشرت في جميع أجزاء مصر .. وأصبح المصريون — على اختلاف طبقاتهم — ينظرون إليه على اعتباره محور المقاومة للنظام الجديد .. وعلى اعتباره زعيمهم المعبر عن أمانهم .. والفصح عن آمالهم ...

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي :

«^(٢) وصل السيد محمد كريم .. إلى رشيد .. مطلق السراح ،